

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[200] رغم أن مفردة (التعصّب) ترد غالباً في المعنى المذموم والسلبى، وبشكل عام فإنّ الإنسان إذا ارتبط بالأُمور غير المنطقية وتحرك في سلوكه من موقع قبولها والدفاع عنها فهو من التعصّب المذموم، وهذا هو ما ورد في القرآن الكريم بعنوان (العصبية الجاهلية) ولكن إذا خضعت علاقة الإنسان مع هذه الأُمور للمنطق والعقل وكانت النتائج المترتبة عليها مفيدة وبنّاءة وتعصّب لها الإنسان فهو من التعصّب الممدوح والإيجابي. ونقرأ في نهج البلاغة في الخطبة (القاصعة) لأمير المؤمنين (عليه السلام) إشارة إلى هذا المعنى حيث يقول : "فَأَطِيعُوا مَا كَمَنْ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نَيْرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَالْحَقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ زَمَّ تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَزَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ" (1). فنجد في هذه الخطبة أنها تقوم على أساس من ذمّ الكبر والغرور والتعصّب واللجاجة، ويقول الإمام في مكان آخر أيضاً : "فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ الْعَصَبِيَّةِ فَلَا يَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَّاءُ وَالْمُجَدَّاءُ مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ... فَتَعَصُّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ، مِنْ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِيرِ، وَ الْمَعَصِيَةِ لِلْكِبَرِ، وَالْإِخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ" (2). فعليه فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير في هذه الخطبة إلى (التعصّب) بكلا قسميه، وعندما سُأل الإمام زين العابدين (عليه السلام) عن معنى العصبية ذكر كلا القسمين أيضاً وقال : "الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا ثُمَّ عَلَايْهَا صَاحِبُهَا أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شَرَّارَ قَوْمٍ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ ! وَلَيْسَ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمًا وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ قَوْمًا عَلَى الظُّلْمِ" (3). وطبقاً لهذا الحديث فإنّ العصبية التي يعيشها أفراد القوم أو القبيلة ما دامت تسير في خطّ الخير والصلاح فهي إيجابية وممدوحة، لأن هذه العصبية والارتباط الشديد لا يدفع 1. نهج البلاغة، الخطبة 192 من الفقرة 22 إلى 23. 2. نهج البلاغة، الخطبة 192، الفقرة 76 إلى 79. 3. أصول الكافي، ج 2، ص 308، باب العصبية، ح